# الفصل الخامس

## « مائير كاهانا »... الفاشية تتقدم

### ١ ـ سيرة حياة صهيونى أصولى فاشى

**وَصَفَهُ كاتب إسرائيلى فقال:**

«إنه ذئب وحيد... لقد ترعرع على الخوف وحقوق العظمة والمقت، وما جاءت منظمته داخل إسرائيل إلا لتؤكد الكُره العنصرى ضد العرب، ولكى تلجأ إلى المقاومة الإرهابية ضد المعارضة السياسية.

إنها حركة غير ديمقراطية المسعى، وفاشية الأصل؛ بيد أنه ما برح وهو فى أوج شعبيته غريباً على السياسة الإسرائيلية، فلكنة حديثه الأمريكية، وأسلوبه السياسى الأجنبى، وعالمه المشوَّش، قد أضفت عليه وعلى مجموعته صورة السفاحين»(١).

فهل حقاً أن الحاخام «مائير كاهانا» غريب على السياسة الإسرائيلية أجنبى اللكنة والأفكار والأسلوب؟!! أم أنه جزء عضوى من البنية الأيديولوچية والتركيبة النفسية، لمجتمعٍ جُبِلَ على العنف وكراهية «الأغيار»، واحتقار كل ماعدا الذات؟!

يحاول «يوشى ميلمان» هنا، وحاول غيره كثيرون، أن يتبرأوا من «كاهانا» وحركته وتصرفاته، بعدما استفزت العالم وأثارت الغضب العارم على هذه التكوينة المرضية السادية، لكن قبل هذا كان قد مضى أكثر من عشرين عاماً وهو يعيث فى الأرض فساداً، يدمر ويفجر ويقتل ويتوعد، دون أن يعترض معترض، أو يرتفع صوت صهيونى بالاحتجاج.

(١) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص:١٨٦.

وفى الوقت الذى كان ضابط بوليس إسرائيلى يقول إن «كاهانا وأتباعه من الأمريكان قد آتوا إلى إسرائيل لكى يلعبوا لعبة رعاة البقر والهنود الحمر»[1] (وطبعاً معروف فى هذه اللعبة من سيكون الهندى الأحمر)، كانت أبواب الكنيست الصهيونى تنفتح على مصراعها لاستقباله استقبال الأبطال، وأنصاره فى كل مكان يرددون مقولاته وينفذون آوامره... فيحيلون الأرض الفلسطينية إلى جحيم، تتفجر بالموت والدمار، تحت أقدام أصحابها الشرعيين...

فمن هو «مائير كاهانا»؟ ومن هى «كاخ» و«كاهانا حى»؟ ولماذا أثاروا ما آثاروه من عواصف؟؟.

مع أن «مائير كاهانا» ـ على غرابة أطواره ـ لا يمثل حالة خاصة أو نسيج وحده داخل «المنظومة الصهيونية»... إلا آنه حالة متفردة ذات سمات قَلَّ نظيرها فى سوقيتها وابتذالها.

عاصفةٌ هوجاء من الحقد والكراهية الممضة؛ وكتلة كئيبة من الغلظة والإجرام... إنه الصهيونية فى انكشافها وعريها... على طبيعتها الفجة، مُجَرَّدَةً من كل عناصر الخداع، وحيل التمويه، وعمليات التجميل، اللازمة للتسويق والعرض العام.

**مائير كاهانا سيرة حياة فاشى أصيل**

وُلد «مائير كاهانا» فى الأول من أغسطس عام ١٩٣٢، لعائلة حاخامية ممتدة، كانت تقيم فى صفد بفلسطين ثم تركتها وهاجرت إلى الولايات المتحدة فى مطلع القرن، استقر أبوه الحاخام «تشارلز كاهانا» فى حى «بلانبوس» النيويوركى، وتولى الإشراف على تعليم ابنه «مائير» ولم يأل جهداً فى تربيته وإعداده ـ كإرهابى واعد ـ لكى يلعب دوره المستقبلى المقدر.

فى صباه انضم «مائير كاهانا» إلى حركة «بيتار»، «الشبيبة الصهيونية»، التى أسسها «زئيف جابوتنسكى»، عرّاب العنف الصهيونى وزعيم «الحركة

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ١)، يوليو ١٩٨٧.

التصحيحية» المتطرفة، واشتهر كعنصر صدامى استفزازى حينما قام عام ١٩٤٧ (وكان عمره وقتذاك خمسة عشر عاماً) بقذف «إرنست بيفان» وزير الخارجية البريطانية الأسبق، بحبات الطماطم العفنة، أثناء مناقشة للمسألة الفلسطينية بمقر الأمم المتحدة...

ثم لم يلبث «كاهانا» أن ترك «بيتار» لنزاع مع قادتها. درس القانون لكنه فشل فى الحصول على إجازة فيه فكان أن اتجه إلى الدراسات الدينية، حيث نُصِّب حاخاماً عام ١٩٥٥ بالمحفل اليهودى بنيويورك، ثم ما لبث أن فُصل بعد عامين «بتهمة الهوس الدينى المفرط»، ومن هنا كان اتجاه أنظاره إلى فلسطين المحتلة بحثاً عن دور يلعبه، بعد أن انضم إلى واحدة من المؤسسات الدينية اليهودية المتعصبة، «حركة بنى عكيفا». وفى فلسطين المحتلة: (إسرائيل) فشل فى الحصول على اعتراف بأحقيته فى (الحاخامية) فعاد خائب المسعى ثانية إلى أمريكا.

وبعد عودته إلى نيويورك انضم «كاهانا» إلى هيئة تحرير المجلة اليهودية الأسبوعية المتطرفة «Jewish Press»، ثم أصبح رئيساً لتحريرها، وراح من خلالها ـ ينفث سمومه ويبث أحقاده.

فى مطلع الستينيات استعاد «كاهانا» علاقة قديمة بزميل سابق فى حركة «بيتار» هو «يوسف توربه» الوثيق الصلة بأجهزة الأمن الأمريكية. كانت الهزيمة الأمريكية فى فيتنام آنذاك تشد انتباه الملايين من الشباب الأمريكى وتدفعها القسوة العسكرية الأمريكية المتناهية للتعاطف مع الشعب الفقير، الذى يأبى التفريط فى استقلاله ويقاتل بكل ما يملك من قوة وعزم فى مواجهة أعتى قوة عدوانية فى التاريخ الإنسانى.

وعلى الضفة الأخرى... كانت مؤسسات الأمن وأجهزة الاستخبارات الأمريكية تبذل جهوداً طائلة لاختراق حركات الشباب والطلبة الأمريكيين المناهضين للحرب العدوانية، عن طريق خلق مؤسسات (علمية) تحت مسميات

مختلفة، ومنها «معهد الأبحاث الموحد للاستشارات» الذى أسسه «توربه»، وشاركه فى نشاطاته «مائير كاهانا»، بعد أن حمل اسماً مستعاراً هو «مايكل كنج»، والذى عمل لخدمة المخابرات الأمريكية تحت إشراف الضابط «جوزيف تشيرباش»، وبعدها أسس الزميلان معاً «حركة الرابع من يوليو»، (نسبة إلى يوم الاستقلال الأمريكى)، التى استهدفت أيضاً تجنيد الطلاب الأمريكيين فى الجامعات المختلفة لتأييد الحرب الإجرامية على ڤيتنام ودعم العدوان.

ويحاول «كاهانا» فى حواره مع مؤلفى كتاب «مائير كاهانا: الحاخام الذى يخيف اليهود» تبرير عمالته لأجهزة الأمن الأمريكية، بأن دوافعها كانت التجسس على جمعيات طلابية معادية للسامية، ولدعم الولايات المتحدة فى حربها ضد ڤيتنام، لإيمانه بأن أمريكا الضعيفة ستكون «شيئاً بغاية السوء بالنسبة لإسرائيل»، باعتبار أن الولايات المتحدة هى التى تحمينا (إسرائيل/اليهود) من الاتحاد السوفييتى(١).

وباعتباره «ملكياً أكثر من الملك» ذاته، فحينما قرر الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون» إذابة جليد العلاقات مع الطرف السوفييتى، احتج «كاهانا» وقرر قطع صلته بالمخابرات الأمريكية لكنه لم يُضع وقتاً إذ استبدل هذه العلاقة بأخرى جديدة مع عصابات مجرم المافيا المعروف «جوكولمبو»، زعيم «رابطة حقوق الأمريكيين ذوى الأصل الإيطالى» واستمر فى ممارسة أعمال الإجرام و«البلطجة»، حيث حُكم عليه بالسجن لخمسة أعوام (مع إيقاف التنفيذ)، بتهمة القيام بتصنيع متفجرات وحيازتها.

كانت حرب ١٩٦٧ لحظة فاصلة وهامة فى مسار حياة «مائير كاهانا» إذ اتجه عقبها نحو المزيد من العمل المكثف المرتبط بالحركة الصهيونية المباشرة، فأسس ١٩٦٨ **«رابطة الدفاع اليهودية» (كاخ)** كتنظيم شبه عسكرى مقره مدينة نيويورك، على غرار منظمات الشبيبة النازية، ثم قام بتنظيم عمليات

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٤)، أكتوبر ١٩٨٧.

تدريب عسكرى لمنتسبى الرابطة والجدد، فى معكسر «كاتسكيل» حيث أُعدّوا فيها إعداداً حربياً متميزاً، وتدربوا خلال مرحلة الإعداد على الرماية وتصنيع القنابل والمتفجرات... وخلال فترة زمنية وجيزة بلغ عدد أعضاء الرابطة نحو أربعة عشر ألف عضو، منتشرين على امتداد الولايات المتحدة وكندا وفى دول أوروبية مختلفة، أهمها انجلترا وهولندا، وجعل لها مهمة محددة: تصفية «أعداء الصهيونية» وضرب معارضيها... ثم انطلق فى حالة من السعار الإرهابى ـ دون خشية من عقاب ـ لتدمير مراكز ورموز العمل العربى والفلسطينى، وكذلك المؤسسات الدبلوماسية ومراكز النشاطات الفنية السوفيتية، تحت زعم إجبار الاتحاد السوفيتى على إطلاق حرية خروج اليهود ومنحهم حق الهجرة إلى «إسرائيل»؛ وقد حُكم عليه بالسجن لمدة عام (مع النفاذ هذه المرة)، قضاها مدللاً مُنعَّماً فى أحد فنادق «منهاتن»، متناولاً وجباته «الشرعية» فى الخارج على نفقة الحكومة الأمريكية، بحجة أنه من غير الدستورى إرساله إلى معتقل «ألن وود» فى بنسلفانيا، الذى لا يقدم طعاماً يهودياً حلالاً إلى نزلائه... أما التهمة فقد كانت محاولة اختطاف «أناتول دوبرين»، السفير الروسى فى أمريكا، ووضع عبوات ناسفة فى السفارة العراقية بواشنطن، والأغرب مما تقدم أن سجن «مائير كاهانا» هذا لم يمنعه من ممارسة كافة أنشطته التنظيمية مع أعضاء رابطته، أو الدعائية بالاجتماع مع الصحفيين ومندوبى التليفزيون ووكالات الأنباء.

وإزاء ردود الفعل السلبية، ثم المعادية، خاصةً بعد مقتل الفتاة اليهودية «إيريس كونز»، (٢٧ عاماً)، سكرتيرة الوكيل الفنى للفرق السوفييتية الراقصة، اليهودى «سول هاروك»، اضطر «كاهانا» إلى تجميد نشاط «رابطة الدفاع اليهودية»، ثم الهرب ثانية باتجاه فلسطين المحتلة، فى الوقت ذاته الذى كان ينشر له فى نيويورك كتاب **«لن تتكرر أبداً»**، مانيفستو الإرهاب الصهيونى المستحدث والفاشية الجديدة، أو الطبعة الكاهانية المنقحة من كتاب **«كفاحى»** لأدولف هتلر، كما وصفوه... والذى زعم فيه أن اليهود

يواجهون حرب إبادة منظمة تمتد باتساع الكون كله، ودمغ ـ عبر سطور الكتاب ـ المؤسسات اليهودية كافة بـ «التعفن» و«الخيانة»، وقدم نفسه على صفحاته، باعتباره رمزاً لأبطال «يهودا» وخليفة «المكابيين» على مر الأجيال.

رحل كاهانا إلى فلسطين المحتلة، حسبما يشير «تايمير كوتلير» فى كتابه «هايل كاهانا»، قادماً من أمريكا إلى (إسرائيل)، لكى «يخدم أهداف السياسة الأمريكية الخارجية، ومؤديًا دوره الإرهابى الكلاسيكى»(١).

عقب وصوله مجدداً إلى فلسطين المحتلة (عام ١٩٦٩)، أسس «كاهانا» حركة «دوب» (قمع الخونة) بالقدس، وميَّزها بنفس شعار «رابطة الدفاع اليهودية»: نجمة داود التى تخترقها قبضة فولاذية مهددة، وبدأ نشاط حركة «قمع الخونة» بسلسلة من الممارسات الإرهابية المصحوبة بأشكال مدروسة من «البروباجندا» الإعلامية (والتلفزيونية أساساً)، استهدفت الطلاب العرب ومجموعات الشباب المعارضة لتوجهاته فى الجامعات.

وإذ وقعت أحداث دورة الألعاب الأوليمبية فى ميونخ (١٩٧٢)، والتى أدت إلى مصرع اثنى عشر رياضياً صهيونياً، اعتبر «كاهانا» نفسه مندوباً للعمل الدموى فى مواجهة العرب، وأعلن ساعتها بوضوح أنه «ليس هناك إلا رد واحد على «الإرهاب العربى» هو الإرهاب اليهودى المضاد، باستخدام العنف»، مؤكداً أن تحت تصرفه العديدين من المتطوعين، من بينهم أعضاء سابقين فى المنظمات الإرهابية الصهيونية «الأرجون» و«شتيرن» وعقب هذا الإعلان خطط كاهانا لتهريب متفجرات وأسلحة ـ على طائرة تابعة للخطوط الجوية البريطانية ـ لاستخدامها فى اختطاف طائرة مدنية مصرية وتحويل مسارها باتجاه «تل أبيب»، كما اكتشفت قوات الأمن فى ٦ أكتوبر ١٩٧٢ مخبأ للأسلحة والقنابل اليدوية والمتفجرات، داخل قاعدة تل أبيب الجوية، كان «كاهانا» يعتزم تهريبها إلى الولايات المتحدة، لاستخدامها فى الهجوم على

(١) مذكورة فى: وجيه حسن قاسم (أبو مروان)، نظرة جديدة فى التحالف الصهيونى الإمبريالى، القاهرة، دار البيان، ١٩٨٧، ص:٩١.

الدبلوماسيين السوفييت والعرب مجدداً، واعتُقل «كاهانا» من جراء هذه الوقائع لكن تم الإفراج عنه بكفالة عشرة آلاف دولار، ويعلق على ذلك مؤلفاً كتاب «مائير كاهانا: الحاخام الذى يخيف اليهود» قائلاً إننا «إذا كنا نعرف مرات التهريب الفاشلة، فنحن بالقطع نجهل ما نجح منها»[1].

وبعد أن أنهى «مائير كاهانا» انتسابه إلى فرقة عسكرية، بالضفة الغربية المحتلة، لاستكمال فترة الاحتياط العسكرى الضرورية بحسب القوانين الإسرائيلية، عاود ممارسته الإرهابية التى تم توجيهها، بإحكام وتصاعد، تجاه العرب الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، بغية إكراههم على الرحيل من وطنهم؛ فنظم عام ١٩٨٠ سلسلة اعتداءات ضد عُمد مدن وقرى الضفة الغربية من العرب، وكان «كاهانا» قد اعتقل مع سكرتير حركته «بارون جرين»، فى مايو ١٩٨٠، إدارياً بسجن الرملة، بعد أن تسربت معلومات إلى جهاز الأمن الإسرائيلى تكشف عن مخابئ هائلة للمتفجرات والأسلحة منتشرة فى مواقع مختلفة، تكفى حسبما وصف الخبراء فى شرطة القدس «لنسف الحى اليهودى برمّتَهُ»، وبعدها بيومين ألقت أجهزة الأمن القبض على عنصرين من الجيش الإسرائيلى على علاقة بالجناح العسكرى لحركة «كاهانا»، لكن «كاهانا» لم يمض فى السجن سوى سبعة أشهر قبل أن يفرج عنه بتدخل مباشر من «مناحم بيجن» رئيس الوزراء الصهيونى آنذاك، وفى مارس ١٩٨٢ قام «هارى جودمان»، بتحريض من «كاهانا»، بإطلاق الرصاص على عربيين فى المدينة القديمة بالقدس، فأرداهما قتيلين، ثم قام عدد من أتباعه باقتحام مسلح لأتوبيس فلسطينى على مشارف «رام الله»، كما أبدى «كاهانا» مساندته لعملية قتل طلبة الجامعات الإسلامية بالخليل.

أما عام ١٩٨٣، فقد شهد وقوفه أمام محكمة العدل الدولية بالقدس، حيث وصفه محامى الدولة بأنه: «نازى بكل معنى الكلمة، والنظرية التى يُرَوِّجُ لها، وكذلك ممارسته، متجانسة مع النظرة النازية البغيضة»، وكان

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره.



obeikan.com

ممثل الدولة يدافع عن قرار وزارة التعليم الصهيونية بحرمان «كاهانا» من دخول المدارس الحكومية والالتقاء بطلابها، والترويج بينهم لأفكاره.

مع بداية عام ١٩٨٤، أُعلن عن بداية نشاط جماعة حملت اسماً موحياً «.T.N.T (إرهاب ضد إرهاب)، التى دشنت أعمالها بنسف أتوبيس فى القدس، الأمر الذى أدى الى استشهاد أربعة من الفلسطينيين، واشتُبه فى أن هذه الجماعة هى الذراع المسلح لحركة «كاخ» الكاهانية، وخلال السنوات الخمس التالية أُوقف «كاهانا» أكثر من عشر مرات، وتم التحقيق معه بشأن انتهاكاته وانتهاكات حركته، «كاخ»، للقوانين، واعتداءاته الدامية على العرب، لكن بدون إدانة... والسبب دائماً: «عدم كفاية الأدلة».

ومع تصاعد المد اليمينى، الصهيونى الذى جسَّده وصول تكتل «الليكود» إلى السلطة، واتجاه المجتمع، فى أغلبه إلى مواقف أكثر تطرفاً ومحافظة، ومع تصاعد عمليات التحريض العامة ضد العرب والفلسطينيين، والحملات الداعية إلى مزيد من التشبث بـ «أرض إسرائيل الكبرى» المزعومة، استطاع «مائير كاهانا»، بعد محاولتين فاشلتين عامى ١٩٨١ وقبلها ١٩٧٧، أن يصبح عضواً بالكنيست، بعد أن حصل على خمسة وعشرين ألف صوت (١,٢ ٪ من إجمالى الناخبين) وذلك فى انتخابات عام ١٩٨٤، وقد كان لهذه النتيجة وقع الصدمة على الأوساط السياسية الصهيونية فى إسرائيل؛ إذ استطاع زعيم حركة «كاخ» العنصرية أن ينجح فى فرض اسمه كسياسى وعضو فاعل فى «الكنيست»، بالرغم من إقرار المحكمة العليا الإسرائيلية بأن «حركة «كاخ» تعمل لفرض الأوضاع العنصرية والمعادية للديمقراطية، وتساعد فى العلن أعمالاً إرهابية، وتشعل نار الكراهية بين القطاعات المختلفة من السكان، وتنال من المشاعر الدينية لبعض الجماعات، وتُقَوِّضُ أسس (الديمقراطية) الإسرائيلية ذاتها».

وبمجرد أن نال «كاهانا» الحصانة البرلمانية بدأ مجدداً فى التحرش

بالسكان الفلسطينيين، بقرى مثلث الجليل، حاثاً سكانها العرب على الرحيل، الأمر الذى أدى إلى رفع الحصانة عنه ـ جزئياً ـ فى ٢٥ ديسمبر ١٩٨٤، مع تحديد حرية حركته فى مناطق سكنى العرب، ثم بعدها عاود الكرّة بالذهاب إلى الخليل، فى مظاهرة استعراضية، للاحتفال بمقتل القيادى العربى «فهد القواسمة» على يد إرهابى من أتباعه واستمرت ظاهرة «كاهانا» وتنظيمه «كاخ»، وأتباعه، تستقطب الآراء حولها بشدة؛ ففى حين رآه مشايعوه مثل «يوشع» منطلقاً فى غزوه لـ «أرض الميعاد»، نظر منتقدوه إلى أفكاره واعتبروا أن تطرفه «يُضفى على «اليمين المتطرف» احتراماً»، ومن سخرية التاريخ يقول مؤلف كتاب «مائير كاهانا: الحاخام الذى يخيف اليهود» أن هذا التطرف قد دفع بالليكود إلى وسط اليمين، على لوحة الشطرنج السياسية الإسرائيلية» مقارنة بـ «أدولف كهانا» وجماعته كما كان يطلق عليه خصومه عن حق.

كان «كاهانا» كما يصفه أتباعه، يعتبر نفسه «خلفاً لأنبياء إسرائيل» ويؤمن بأن الله قد اختاره لإنقاذ «شعب إسرائيل»، وهو صاحب الرسالة، والمرجع الأول بين أتباعه، وهو وحده مقياس الصواب والخطأ، يدرك ما ينبغى فعله، ومالا يتوجب عمله، هو سيدهم بلا منازع، اعتاد الانعزال فى جبال القدس كالناسك فى صومعته، «حين يتكلم بين أتباعه يُصاب بالهذيان، والزبد يرغى من فمه، وأجفانه تتقلص وترتخى بحدة سريعة كأن الرجل أصابه مس، يكثر الاقتباس من الكتاب المقدس، أمنيته دولة يهودية دستورها الشريعة اليهودية المتعصبة، البشرية فى مفهومه منقسمة إلى يهود وأغيار... وهؤلاء فى نظره مخلوقات منحطة»(١).

فى يوم ٦ نوفمبر ١٩٩٠ فى قاعة محاضرات بفندق «ماريوت ماركيز» بحى «مانهاتن» فى «نيويورك»، بينما كان «كاهانا» يلقى واحدة من محاضراته

---

(١) درويش ناصر (المحامى)، الفاشية الإسرائيلية، عُمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٠.

العنصرية على جمهور من مشايعيه أتوا للاحتفال بتأسيس «المنظمة الصهيونية للإغاثة العاجلة والتهجير»... دوت رصاصات هادرة، سقط على أثرها «ماتير كاهانا» مضرجاً بدمائه... ثم لفظ أنفاسه... واتُّهِمَ شاب مصرى من بورسعيد اسمه «سيد نصير» بقتله(*)، وأخيراً: العدالة تتحقق، وحسب شريعة التوراة والتى ظل كاهانا يزعم أنه ينافح عن تطبيقها، فالعين بالعين والسن بالسن، ومن قتل يُقتل ولو بعد حين.

## ٢ ـ أيدولوچية الفاشية الكاهانية

يُجَسِّدُ «ماتير كاهانا» أبلغ تجسيد نموذج الغوغائية السياسية التى تتوجه لاستثارة الغرائز الدنيا للجموع البسيطة، ولاستدعاء المخزون العدوانى الذى تم تكريسه على امتداد عشرات طويلة من السنين... إن تجربة «هتلر» تتكرر مرة ثانية؛ لكنها هذه المرة بصورة معكوسة، وعلى يد واحد من ضحاياه المفترضين، وفى مواجهة شعب برىء لم يكن له ضلعُ فيما حدث. فكما أشارت الشخصية المسيحية الفرنسية البارزة «الأب بيار» فى كلمة ألقاها لدى زيارته لغزة: «فإن أوروبياً مُعَمَّداً ومارقاً يدعى «أدولف هتلر»، هو الذى تسبب فى هذه الفظاعة المرعبة، التى نسميها «المحرقة»، المتمثلة بإبادة يهود على أيدى النازيين، وقد حاول الأوروبيون بعد انتهاء الحرب، البحث عن بعض السبل لتصحيح الضرر الذى أُلحق فى شكل عبثى وجنونى بأحد (الشعوب)، لكنهم ألقوا عملياً مسئولية إبادة اليهود على العالم

(*) بعد مقتل «كاهانا» تصاعدت صرخات الانتقام من أتباعه، وقتل مستوطنون من جماعته زوجين فلسطينيين بالرصاص فى نابلس. وأطلق جنود الجيش الإسرائيلى النار عشوائياً على المواطنين الفلسطينيين فى شوارع فلسطين المحتلة. فقتل وأصيب أكثر من خمسمائة فرد، واعتقلت قوات الأمن المئات من العرب، كما اعتقل «جوران جولدن»، وهو يهودى إسرائيلى/أمريكى من عناصر «كاخ» بينما كان ينقل قنابل ومتفجرات، بهدف إلقائها على المصلين فى حرم المسجد الأقصى، وفى الذكرى السنوية الأولى لمقتله، حسب «التقويم اليهودى»، نفذ «باروخ جولد شتاين» (عضو حركة كاخ). مذبحة الحرم الإبراهيمى يوم ٢٥ فبراير ١٩٩٤، التى راح ضحيتها تسعة وعشرون شهيداً، بينما كانوا يؤدون صلاة الفجر.

العربى الذى لم يضطهد يوماً، على مر العصور، (الشعب) اليهودى... لقد أردنا نحن الأوروبيون ـ أضاف الأب بيار ـ غسل أيدينا عبر تحميل أناس غير مذنبين ثمن المغفرة... ولهذا أطلب منكم أنتم عرب فلسطين وأشقاؤنا المغفرة»[1]... غير أن الشكل الوحيد للمغفرة التى كان يطلبها «مائير كاهانا» من عرب فلسطين، هى أن يتركوا وطن الأجداد ومثوى الأحفاد... لأن العربى الطيب، كما ارتأته الصهيونية، وعَبَّرَت أصواتها من قبل، هو العربى الميت، أو فى أحسن الأحوال، «العربى المغادر».

لكن بساطة «كاهانا» ليست بساطة ساذجة، إن أفكاره المصاغة بكلمات واضحة وصريحة، وشعاراته الحزبية ليست إلا «ثمرة ديالكتيك بارع ورهيب: هل من الممكن للدولة أن تكون يهودية وعلمانية فى نفس الوقت؟ بمعنى آخر: هل تتفق اليهودية والديمقراطية؟... لا: هكذا يرد الحاخام الغريب، الذى يمتلك من الجرأة ما يجعله يقول بصوت عالٍ إنه ليس ديمقراطياً، وأن استمرار حياة اليهود يمر عبر طرد العرب خارج «إسرائيل»..

وبخليط من الهلوسة الدينية، والعدوانية السياسية المعجونة بالعنصرية، والمدفوعة بإحساس عميق بالنبوة والرسالة، نمت حركة «كاخ» واتسع نطاقها، وصار بطشها سيفاً معلقاً على رؤوس الجميع، وتصرف زعيمها الحاخام «مائير كاهانا» باستمرار، بجرأة مقطوعة النظير تطاول حدود الصفاقة والوقاحة، لكنه لم يجد أبداً من يردعه... لماذا؟ لأنه، على حد تعبيره،: «كان يقول ما يفكر فيه الآخرون، ولا يجرأون على البوح به»... إنه يعرفهم جيداً، ويعرف أكثر أنه يفضح مكنونات صدورهم، هم الذين أجادوا ـ على مر التاريخ ـ النطق بما لا يؤمنون به، والتعبير عما لا يعتقدون فيه، وفى الوقت الذى كان الجميع يغنى معزوفة السلام الوهمى، ويُقّبلون الوجنات ويبتسمون لعدسات الكاميرات، كان «مائير كاهانا» يقول صادماً الجميع يهوداً وعرباً،: «إن التوراة

(١) جريدة «الحياة» الدولية، لندن، ١٥/١٠/١٩٩٥.

لا تمنع القتل ولكنها تمنع الاغتيال» وإذن فهو «الفعل والفعل دائماً، بما فى ذلك الإرهاب»(١)، ثم إنه يملك القدرة على السخرية المريرة المعبرة: «عندما رأى موسى المصريين يضربون يهودياً، لم يشكل لجنة لدراسة جذور معاداة السامية»(٢)... وهو، كموسى أيضاً، لن يشكل لجنة، وإنما سيبادر إلى الفعل، وسيتحرك لكى يقتل/المصرى/العربى/الفلسطينى، الذين اجتمعوا على اليهودى كى يقتلوه، (كما يدّعى)، وقبل أن يقتلوه كما (يزعم).

ويتفق كل الذين يتناولون دراسة ظاهرة صعود «كاهانا» وحركته الفاشية على أن هناك أسباباً موضوعية ساعدت على سرعة انتشار هذه الظاهرة واتساع نطاقها، وأول هذه الأسباب، بلا جدال، الظروف التى واكبت عملية «زرع» اليهود الشرقيين الفقراء، الذين أتوا بتراثهم الروحى وعاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم «الشرقية»، وكان من العسير عليهم تجاوزها أو التنكر لها. فـ «لازدهار الفاشية لا يكفى وجود طبقة فقيرة تعيش عيشة الكفاف والمذلة. الفاشية بحاجة إلى طبقة جُرِّدَتْ من ثرواتها الروحية والمادية، اليهودى المراكشى والعراقى الذى قدم إلى هذه البلاد، خسر كل ثرواته التربوية، حيث قُذف به إلى حياة كان نصيبه فيها المذلة أينما وجد، وحيثما كان إذلاله أمام نفسه وأمام أبنائه».

«ومثل هذا الإنسان قد يجد عزاءه بالانتساب إلى العنصر المختار، «شعب الله» المختار، بالهتاف لزعيم مختار، قادر على كل شىء... بالانتساب إلى عصابة مغاوير، وعلى الأخص باضطهاد إنسان أضعف منه: عربى، زنجى، أو يهودى... وبتعذيبه وإذلاله».

«الفاشية هى عُكّاز الإنسان المعوَّق»(٣).

---

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) درويش ناصر (المحامى) مصدر سبق ذكره، ص:٦٥ ـ ٦٦.

وهذه الفكرة التى أشار إليها الكاتب العربى الذى يحيا تحت الحراب الإسرائيلية، «درويش ناصر»، هى ذاتها ما يؤكده الكاتبان الفرنسيان «د. رفائيل ميرچى، د. فيليب سيموند» فى كتابهما: «مائير كاهانا: الحاخام الذى يخيف اليهود» أنهما يقولان بوضوح إن جذور «كاهانا» ليست فقط سياسية، إنما هى أيضاً اجتماعية وأيديولوچية، فالذين يعطون أصواتهم لـ «كاهانا» هم الفقراء من اليهود الشرقيين، القليلو الحساسية للغة الأرستقراطية العمالية المتخشبة، إن «السفارديم»، اليهود الشرقيون الأكثر حرماناً، منبوذو المجتمع اليهودى قد تبنوا منبوذ السياسة، لقد حصل «كاهانا» على ٣٢ ٪ من أصوات سكان مدن التطوير (مجمعات فقيرة خصصت لليهود الشرقيين)، وعلى ٣٢ ٪ من داخل الموشاف (القرى التعاونية) الدينية، وعلى ٢٣ ٪ من داخل الأحياء الفقيرة بالمدن الكبرى، وكلها يسكنها يهود شرقيون، ونفس الظاهرة فى الجيش أيضاً(١).

وقد يرفض البعض هذه الرؤية، ويحاجج بأنه فى أوروبا وحتى فى أمريكا بكل ما تمثله من غنى وبحبوحة، فإن الفاشية أخذت تطل برأسها فى السنوات الأخيرة، وهذا صحيح إلى حد كبير، غير أن ما يتعلق بنمو ظاهرة «الفاشية الصهيونية»، وما يجعلنا ننظر إلى اليمين الصهيونى المتطرف بخطورة أكبر ـ مجموعة من الأسباب رئيسية ذات أهمية بالغة:

**أولها:** على حد ما يشير «باتريك سيل» أنه يجرى فى الأقطار الأوروبية، (وبالذات فى فرنسا وبريطانيا وألمانيا) إدانة هذه المجموعات الإرهابية والتشهير بها بانتظام، أما فى إسرائيل فإن الأمر على العكس تماماً؛ حيث لم يقم سياسى بارز أو حتى حاخام واحد، بإدانة هذه الجماعات علناً، أو إدانة برنامجها الداعى للتمييز، إن «مائير كاهانا» لم يكذب، فلو مددنا خط الأفكار اليمينية المتطرفة، أو أفكار كتلة «ليكود» والمعسكر «القومى» حتى منتهاها، لوجدنا أن دعاوى «كاهانا» «تفضلها ببساطتها». فالمطالبة بطرد

(١) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره.

العرب ليست فقط متفقة مع السياق، وإنما هى تترجم بكل تأكيد الأفكار الحقيقية لبعض السياسيين، والچنرالات الأكثر لباقة. «فهم يحلمون بطرد العرب، ولكن «بلطف»، أو عن طريق هجرة جماعية، تكون مسببة عن نزاع مسلح تتحمل الدول المجاورة مسئوليته»[١].

و«كاهانا» نفسه كان مُدركاً كل الإدراك لهذا البُعد الهام فى حركته، وهو القائل فى تقديمه لكتابه «شوكة فى عيونكم»: إن الخطر الذى يمثله بالنسبة للحكومة الصهيونية المرتبكة، إنما يكمن فى «وجود شركاء صامتين لى فى أفكارى. إنهم مئات الآلاف من يهود إسرائيل «الذين بدأوا الإعراب عن تأييدهم لى، ومنحى القوة اللازمة لتقوية أفكارى»[٢]. وهنا مكمن الداء.

**وثانيا:** أن المتطرفين الدينيين الإسرائيليين يعملون، فى إطار تفكير معين خاص بهم، لا يمتُ إلى المنطق أو العقل بصلة، وعقولهم ملأى بالأفكار والآراء الخاصة بالخلاص اليهودى، والكثير منهم يعتقد أن نهاية العالم صارت وشيكة للغاية، وأن على إسرائيل أن تطهر نفسها بطرد العرب الذين يدنسون «الأرض الموعودة»، ويعتبر هؤلاء أن «بيجن وشارون» خونة لإقدامهم على تسليم سيناء مرة آخرة للمصريين.

**وثالثها**: أن الخطر الكبير من هذه الحركات المتطرفة، ينبع من كونها تحظى بدعم عدد متزايد من الشباب (١٨ ـ ٢٢ عاماً)[٣].

وإذ علمنا أن فى إسرائيل الآن عشرات الآلاف من الشباب يتابعون دراستهم الدينية بشكل يستغرق كل وقتهم، ويتلقون دروسهم على أيدى حاخامات شديدى التطرف، فى مدارس دينية شديدة الانغلاق، ويدرسون

(١) المصدر نفسه.

(٢) مائير كاهانا. شوكة في عيونكم، عُمان ـ الاردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٨٥، ص: ١٤.

(٣) باتريك سيل، مخطط حافل وراء المتطرفين الإسرائيليين: مجلة «المجلة»، لندن، العدد (٢٤٦)، ١٧ ـ ١٩٨٤/١١/٢٠.

أفكار عتيقة شديدة العنصرية... لأمكننا تصور المستقبل مع هذه النوعية من الشباب، وتوقع ملامحه.

والأخطر من ذلك أن نسبة مهمة من أصوات المجندين الشباب فى الجيش الإسرائيلى (١٠ ـ ١٥ ٪)، صوَّتوا لحزب «تحيا» (النهضة) اليمينى، و٢,٥ ٪ لكاهاناً فى آخر انتخابات خاضها، وبواسطتها احتل موقعه فى الكنيست عام ١٩٨٨.

وهذه الأفكار، التى يكمن من خلفها حاخامات الدم والموت الإسرائيليين، هى ذاتها التى دفعت «إيجال عامير»، الشاب اليهودى المتزمت لاغتيال «إسحق رابين» رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، وهو شديد الاقتناع بأنه نفذ أمراً إلهياً، وأنه بفعلته هذه يُرضى الرب، ويُنفذ مشيئته، وفى كل الصور التى نشرت له عقب إلقاء القبض عليه، وأثناء التحقيق معه، يبدو شديد الرضا عن نفسه، هادئ البال مبتسماً... وبراءة الأطفال فى عينيه.

## ٣ ـ حدود الكاهانية: كاهانية بلا حدود

محور الأيديولوچية الكاهانية يدور حول فكرة مركزية واحدة: كيف ينبغى طرد العرب الفلسطينيين من بلادهم، واستكمال الهيمنة الإسرائيلية عليها، بصورة مطلقة، غير قابلة للنقض أو الانتقاص.

وهى الأيديولوچية التى شرحها «كاهانا» باستفاضة، وأعاد شرحها مراراً وتكراراً، فى الكتب العديدة التى كتبها مثل: **«شوكة فى عيونك»، و«أربعين عاماً»، و«عن الإيمان والخلاص»**، وكذلك فى الحوارات الصحفية التى أُجريت معه، وفى مشاريع القوانين التى قدمها ـ باعتباره عضواً فى الكنيست ـ وكذلك فى وثائق حركة «كاخ» الأساسية وإعلاناتها السياسية.

ينفى «كاهانا» بدايةً ـ أية إمكانية لأن يعيش العرب الفلسطينيون، أو من يطلق عليهم «عرب أرض إسرائيل»، مع يهود «أرض إسرائيل»، تحت راية دولة «يهودية/صهيونية»؛ ذلك أن «الدولة اليهودية» تعنى تفكيراً وعلاقات

يهودية، وتعنى حضارة يهودية، وروحاً يهودية، فى جمهور يهودى، وفوق ذلك كله تعنى «سيادة يهودية» و«سيطرة يهودية» فى هذه البلاد[1].

فوثيقة «الاستقلال»، (إعلان قيام دولة إسرائيل)، تحدد بحسم أن هذه البلاد (أى فلسطين السليبة)، هى وطن اليهودى وليس العربى، كما يقول «كاهانا»، والعرب لا يشعرون بأية علاقة إيجابية أو شعور طيب تجاه دولة يهودية الروح، بل إن كل العرب وضمنهم «عرب إسرائيل»، يعتقدون بأن الإسرائيليين لصوص، جاءوا إلى المنطقة لكى يسلبوا جزءاً منها، من أصحابها الشرعيين، والظاهرة الخطيرة ـ يقول «كاهانا» ـ أن أشد العرب عداءً للدولة الصهيونية هم المثقفون. فالعرب المتعلمون بالذات هم متطرفو المستقبل، وقادة وزعماء الثورة الوطنية القادمة ضد إسرائيل ، وهم يرفضون لقب «عرب أرض إسرائيل» ويجاهرون بالانتماء إلى فلسطين، وهم يقولون علناً ـ كما عَبَّرَ واحد منهم ـ بأنهم لا يعترفون «بالحقوق التى تسمونها تاريخية للشعب اليهودى فى هذه الأرض، هذا هو مبدؤنا الأساسى، يوجد على هذه الأرض حق تاريخى للشعب العربى الفلسطينى فقط»[2].

ويزيد من قتامة مصير الدولة الإسرائيلية فعل ما يُطلق عليه «كاهانا» إسم «شيطان الديموجرافيا»؛ حيث يرى «كاهانا» أن أخطر أسلحة العرب فى صراعهم ضد العدو الإسرائيلى هو الأطفال[3]. فالعرب، الذين لم يتوقفوا عن العمليات «الإرهابية»، ظلوا يلدون الأطفال «بكثافة قاتلة»، وإذا استمر الوضع على هذا المنوال، فالتوقعات الإحصائية تؤكد أن العرب سيشكلون نحو ثلث سكان الدولة عام ٢٠٠٠، (٢ مليون عربى فى مقابل ٤ ملايين يهودى)؛ إذ أن نسبة التكاثر السنوى لدى «عرب إسرائيل» تحتل المكانة الرابعة فى العالم (قبل الهند) وتصل إلى ما بين ٤٠ ـ ٤٥ بالألف، فى حين

(١) ماثير كاهانا، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص:٩٤.

(٣) المصدر نفسه ص:١١٦.

أن نسبة التكاثر الطبيعى اليهودى تتراوح بين ١٧ ـ ٢٢ بالألف، ونصف عدد السكان العرب فى إسرائيل هم فى سن ١٥ عاماً، وثلثى السكان يبلغ عمرهم ٢٢ عاماً، فيما متوسط عمر السكان اليهود يقارب الـ ٣٠ سنة، ونسبة وفياتهم أعلى من مثيلاتها العربية، والهجرة اليهودية المضادة تُزيد الأمر سوءاً، إضافة إلى تأخر سن الزواج بالنسبة للشباب الإسرائيلى (بسبب ظروف الخدمة العسكرية)، كما أن ظاهرة الإجهاض، المقصورة تقريباً على الفتيات اليهوديات، وتأثر اليهود الشرقيين (السفارديم) بعادات الغرب فى تحديد عدد الأطفال... كل هذا، وغيره من العوامل، تضاعف من الآثار السلبية المدمرة لـ «شيطان الديموجرافيا» القاتل[١]. وهو يهدد بانفجار الوضع فى البلاد حينما يشعر الفلسطينيون بقوتهم، بعد أن تتحق لهم نسبة الربع أو الثلث من عدد السكان فى الدولة، وسيشاهد العالم الاضطرابات والثورات على شاشات التليفزيون، وستنفجر القنابل، ويسقط عشرات القتلى فى الاصطدامات التى ستقع بين المواطنين العرب والجنود الإسرائيليين[٢].

ويضاعف من حجم الكارثة ـ من وجهة نظر «مائير كاهانا» ـ مزاعم (الديموقراطية) التى تعلنها الدولة، والتى نصت عليها «وثيقة الاستقلال»، فى فقرتها الرابعة، بتضمنها «المساواة فى الحقوق الاجتماعية والسياسية، بصورة كاملة، بين جميع مواطنيها، رغم كونهم عرباً وليسوا يهوداً»(*)... إن «الديموجرافيا» و«الديمقراطية» يتحدان معاً لنشر التضليل والخداع، فالتناقض بين العرب واليهود «مطلق تماماً»[٣]، ويستحيل حله على أسس ديمقراطية تكفل للطرف العربى حقوقاً معترفاً بها فى الدولة اليهودية، بل

(١) المصدر نفسه، ص: ١١٦ ـ ١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢٦.

(*) يُلاحظ بالطبع كذب الادعاءات الديمقراطية الصهيونية وقد أثبتت ممارسات الأيام التالية، العنصرية والإرهابية، هذه المسألة تماماً.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢٧.

يجب الاعتراف - مرةً وإلى الأبد - بأن هناك مجابهة بين الدولة واليهودية - الصهيونية والحلم اليهودى؛ وبين النظريات الحديثة للديمقراطية والمدنية، ولا يجب أن يعتذر اليهود عن طابع دولتهم وطبيعتها، فالدول العربية أو الإسلامية التى ينص دستورها على طابعها العربى أو الإسلامى لا يحتج أحد على عنصريتها، يقول «كاهانا» محاججاً: كما أن الإفريقيين لا يعتذرون عن إصرارهم على الاحتفاظ بلون دولهم الأسود[1] واليهود، الذين عانوا طوال ألفى عام من الشتات والاضطهاد تعلموا الدرس جيداً، وهو ألا يكونوا أقلية مرة أخرى أبداً: فهذا وطنهم وهم لن يسلموه للعرب مطلقاً وإذا كان العربى يفضل أن يعيش فى بيته ووطنه الذى يسوده الجو العربى، فليرحل الى واحد من أكثر من عشرين دولة (عربية)، أقيمت من أجله. ففيما تمثل هذه الأرض أرضنا الوحيدة، فإن لدى «عرب إسرائيل» الإمكانية بأن يعيشوا حياتهم والاندماج فى آية واحدة من تلك الدول، مع أبناء شعبهم العربى[2].

وإذا لم تقبلهم الدول المحيطة فماذا سيكون الحل؟ يرد «كاهانا»: ببساطة، لم أطلب من أحد أن يقبلهم... سأحتل مداخل الأردن من الجانبين، ونحاصرهم هكذا لمدة أسبوعين، ثم نقوم بإخلاء العرب، وفى هذا السياق... فإن مذابح «صبرا وشاتيلا»، التى نفذتها عصابات الكتائب الفاشية بدعم القوات الإسرائيلية العنصرية لدى احتلال بيروت (١٩٨٢)، تمثل عملا مجيداً كان ينبغى على الاسرائيليين أن يتولوه بأنفسهم... لقد كان على إسرائيل أن تفعلها أثناء دوران القتال... كان لابد لهذه المعسكرات أن تُقصف، ولمساكن المدينتين أن تُدكّ[3].

إن «عرب إسرائيل»، كما يعترف «مائير كاهانا»، يمثلون أقلية لها طموحاتها الوطنية التى لا يمكن شراءها ببعض التحسينات فى مستوى

(١) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص:١٣٤، ٦٣ - ٦٤.

(٣) د. رفائيل ميرجى - د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٢)، اغسطس، ١٩٨٧.

معيشتهم، كمدّهم بالكهرباء، أو السماح لهم بالتعليم العالى... إلخ، ذلك أنه كلما ازداد التقدم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لدى العرب ـ يقول «كاهانا» ـ كلما زاد تطرفهم وتعصبهم القومى، ومعاداتهم ومقاومتهم للدولة الصهيونية[١]، فالصراع العربى ـ اليهودى فى إسرائيل، ليس صراعاً اجتماعياً أو اقتصادياً أو حتى سياسياً، إنه أعمق من ذلك بكثير: إنه يتصل بجذور الدولة بالذات، فطالما ظلت إسراتيل مُصِّرةً على وصف هذه الدولة كدولة يهودية، وطالما ظلت متمسكة بالعقيدة اليهودية والصهيونية، القائلة بأن الأرض ملك للشعب اليهودى، ستزداد الكراهية والاصطدامات وسفك الدماء، وهذه هى الحقيقة التى لا يملك زعماء إسرائيل الجرأة على الاعتراف بها[٢].

وكيف تُحَلُّ هذه المعضلة إذن؟! لا يوجد سوى حل واحد، من منظور الفاشية الكاهانية: هو طرد العرب خارج الأرض، أرضهم، بدلاً من إعادتها لهم، وللسخرية المرة فإن «كاهانا» يرى أن الذين يدعون إلى إبعاد العرب خارج «إسرائيل»، إنما يفعلون ذلك من خلال احترام الإخلاص العربى وإيمانه، القائل بأن هذه الأرضُ سلبت منه، ومن خلال المعرفة بأن العربى لن يستطيع محبة «الدولةاليهودية»، أو التضامن معها[٣].

ولابد من إنجاز هذا الأمر قبل استفحال المشكلة وتعذر السيطرة عليها، فإن جيوش الدول العربية المرابطة على (حدودنا) لا تشكل مشكلة... انما المشكلة الرئيسية تكمن فى القنبلة الزمنية التى تدق بهدوء، ومن ثم سيرتفع صوت دقّاتها داخل إسرائيل... وكل يوم يمضى يُقَرِّبُ العرب من تحقيق هدفهم: الأغلبية، بينما يجلس اليهود الصهاينة «مشلولين، مكتوفى الأيدى»[٤].

ولذا فليس هناك من أمل سوى «أن نطرد العرب من أرض إسرائيل»[٥].

(١) المصدر نفسه، ص:٦٦.

(٢) ماثير كاهانا، مصدر سبق ذكره، ص:٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص:٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ص:٢٠١.

(٥) المصدر نفسه.

لقد كانت «أكبر بركة» حظى بها اليهود، مع قيام دولتهم عام ١٩٤٨، هى الهروب العشوائى وعديم المنطق، الذى جاء نتيجة للرعب الذى تَمَلَّكَ العرب وجعلهم يهربون من دولة اليهود الجديدة، مُخَلِّصاً الدولة من أقلية كبيرة كان من شأنها تخريبها من الداخل، لكن الإسرائيليين لم يكملوا عملية إخراج العرب من حدود الدولة اليهودية، لو فعل اليهود ذلك، لكانت هناك فى الواقع عملية، «تبادل سكانى»، يتم فى إطارها إعادة العرب واليهود (المقيمين فى الدول العربية والذين هاجروا إلى إسرائيل)، كل إلى أبناء شعبه. لكن هذه الفرصة الذهبية ضاعت، وضاعت مثلها فرصة أخرى عام ١٩٦٧؛ حيث أهدرت المنحة التى منحها الرب لشعبه مرة ثانية لطرد جميع أعدائه... فقد كان باستطاعة إسرائيل التخلص من «السرطان» والانتهاء من «الكابوس» المزعج، الذى يتمثل بضم ٨٠٠,٠٠٠ عربى، حاقد على إسرائيل، إليها[1].

## الخطة الكاهانية:

وعن طريق لعبة سياسية مخادعة، تبدأ من الحسم النهائى لموضوعه أن الأرض الفلسطينية هى «أرض إسرائيل»، الممنوحة من الرب لشعبه المزعوم، ينطلق «كاهانا» ليبنى مجموعة من المشابهات النظرية الكاذبة تدعم حججه، وتُقَوِّى براهينه: إننى أريد أن أطرد العرب من المسجدين اللذين فى هضبة (المعبد)، (المسجد الأقصى وقبة الصخرة). ليس للعرب الحق فى أن يتواجدوا بها. هل باستطاعتكم أن تتخيلوا ما كان المسلمون سيقولونه لو أن اليهود بنوا معبداً فى مكة، فى هذا المكان الإسلامى المقدس؟! إن هضبة المعبد ليست مكاناً مقدساً للمسلمين... إنها المكان الأكثر قداسة بالنسبة لليهودية.. إننى أريد أن أقتلع العرب منه. إننى أريد أن أقتلعهم من هناك... إننى لا أريد أن أُفَجِّرَ المسجد (الأقصى)، ولكن لو قام أحد بتفجيره، فبكل تأكيد سأصفق له[2].

(١) المصدر نفسه، ص:٢١٠ ـ ٢١٢.

(٢) د. رفائيل ميرجى ـ د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٥)، أكتوبر، ١٩٨٧.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية المنحطة، يقترح «كاهانا» من تسعة نقاط بمقتضاها يمكن تصفية الوجود العربى فى أرض فلسطين السليبة نهائياً، وإتمام عملية الإحلال اليهودى الصهيونى محله:

١ ـ إن دولة إسرائيل قامت، وقائمة الآن، من أجل الأمة اليهودية فقط، وبذلك تشكل الدولة اليهودية وطناً للشعب اليهودى، وكل من هو ليس من الشعب اليهودى لا يحق له الحصول على هذه الجنسية، والعضوية فى شعب إسرائيل يمكن الحصول عليها بالدخول فى الديانة اليهودية(١).

إن من هم ليسوا يهوداً، يحق لهم العيش فى إسرائيل بدون جنسية، وبدون حقوق سياسية، ووفقاً «للاعتبارات الأمنية» التى تحددها الدولة اليهودية(٢).

٢ ـ يُعرض على كل عربى فى أرض إسرائيل أن ينتقل بمحض إرادته الحرة إلى دولة عربية، أو إلى أية دولة أخرى يريدها، على أن يتم تحديد قيمة التعويضات التى ستُدفع له مقابل ممتلكاته التى سيتركها فى إسرائيل، مع الأخذ فى الاعتبار الديون التى تتحملها الدول العربية للطوائف اليهودية التى هاجرت من تلك الدول، وسيُطلب من دول النفط دفع تعويضات عن ممتلكات اليهود الذين لم يُدفع لهم أى تعويض(٣).

٣ ـ العربى الذى يرفض هذا العرض يطلب منه أن يعلن ولاءه للدولة اليهودية، بصيغة تظهر اعترافه بكون «أرض إسرائيل» وطناً للشعب اليهودى، وبالسيادة اليهودية الكاملة، وبحق الشعب الإسرائيلى الوحيد والأوحد فى السيادة على هذه الأرض، ومن يتصرف وفق هذا الطلب يظل فى البلاد كمواطن إسرائيلى، بدون جنسية، وبدون مطالبة بسيادة وطنية، وبدون حقوق سياسية (مثل حق الانتخاب)، والحكومة من جانبها تحدد عدد مواطنيها من

(١) مائير كاهانا، مصدر سبق ذكره، ص:٢١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٨.

غير اليهود وفقاً لاعتباراتها الأمنية[1].

٤ ـ العربى الذى يرفض القبول بهذا الوضع، تُدفع له تعويضات عن ممتلكاته، ويتم إبعاده إلى دولة عربية وليس إلى دولة غربية، ولكن إذا أصر العربى على رفضه، يتم إبعاده بالقوة وبدون تعويضات، ويتم نقل المبعدين إلى حدود لبنان، أو إلى الأردن، أو المنطقة الفاصلة بين مصر وإسرائيل[2].

٥ ـ يتم توضيح مشكلة العرب أمام كل يهود العالم، ويتم تفسير وبيان أخطارها إذا لم تُحل، خاصةً هنا. وسيُطلب من يهود العالم تمويل خطة الهجرة، تمويلاً طارئاً[3].

٦ ـ فى هذه الأثناء، يُطلب من كل مواطن لا يحمل الجنسية الإسرائيلية أن يعمل مدة ثلاث سنوات فى إطار كتيبة عمل. لن يُقبل أى طلب عربى فى الجامعات إلا بعد أن يُقسم يمين الولاء للدولة اليهودية[4].

٧ ـ تُجبى الضرائب بكاملها من عرب إسرائيل، ولا يسمح بالتهرب من الضرائب، وكذلك تتبع سياسة صارمة لمنع استيلاء العرب على (أرض إسرائيل)، وكذلك منع إقامة مبان غير قانونية.

٨ ـ تُدفع مخصصات التأمين الوطنى لحاملى الجنسية الإسرائيلية فقط.

٩ ـ فى إطار الخدمة العسكرية والوطنية، تُقام كتائب عمل لغير اليهود الذين سيتم إعدادهم للقيام بأعمال يدوية وحمائية قاسية. وبنفس الوقت تنفيذ حملة جماهيرية واسعة النطاق من أجل تشغيل عمال يهود (مكان العمال العرب)[5].

(١) المصدر نفسه، ص: ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص:٢١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢١٨، ومن اللافت أن أغلب هذه الاشتراطات، ومنها رقم (٦)، قد جرى تنفيذ أغلبها، فيما بعد!.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢١٩.

إن إبعاد العرب من إسرائيل سيمكن الحكومة من نقل مليارات كثيرة من الدولارات، التى كانت تُصرف على العرب، لتصرف على العائلات اليهودية التى تعانى من الضائقة المالية.

إن معارضى «مبادرة التهجير العربية» هذه ـ يقول «كاهانا» ـ يصفونها بأنها «خطة للتحريض على الثورة»، لكن الحقيقة، يُذَكِّرُ «كاهانا» محقاً هذه المرة، أن وجود دولة إسرائيل بالذات هو العنصر المحرِّضُ على الثورة[1]، ومن يُصِرُّ من العرب على عدم ترك البلاد، ونفى ذاته خارجها «بمحض إرادته»، سيكونون أعداءها الحقيقيين والخطيرين، والذى يُعتبر طردهم «أمراً حيوياً جداً»؛ ذلك أن عملية طرد كل عربى لا يُسَلِّمُ بسيادة اليهود المطلقة على أرض إسرائيل، ليست فقط هى الأسلوب المنطقى والعملى لكل يهودى يشعر بوجوده الذاتى، بل هى واجب دينى أيضاً[2].

فشعب إسرائيل ـ كما يزعم «كاهاناَ» ـ ليس «مجرد شعب»، وإسرائيل أيضاً غير قابلة للإبادة. «إنها فريدة من نوعها، مقدسة، اختارها الرب وميَّزها عن غيرها. لقد اختار الله الشعب اليهودى وألزمه بأن يطبق تعاليم التوراة. ورفضنا لحل مشكلة العرب وفقاً لتعاليم التوراة، هو بالذات الذى سيلحق بنا المعاناة المميتة، فى حين أن جرأتنا فى طرد العرب، تُعتبر من العناصر الرئيسية فى تعجيل تحقق الخلاص الكامل»[3]... إن دولة إسرائيل ليست صيغة سياسية: «إنها مخلوق دينى[4] ولذا فإن أية قوة فى العالم لن تستطيع الحيلولة دون إقامتها، ولن توجد قوة فى العالم تستطيع تدميرها»[5]، و«عرب إسرائيل» يشكلون تدنيساً للرب (المعصية)، «وعدم تسليمهم بالسيادة

(١) المصدر نفسه، ص: ٢١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص:٢١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص:٢٢٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه،ص:٢٢٨.

اليهودية على «أرض إسرائيل»، على الرغم من وجود العهد بين اليهود وبين رب إسرائيل، يُعتبر رفضاً لسيادة الله رب إسرائيل وملكوته... لذا فطردهم من البلاد هو عمل دينى أكثر من كونه قضية سياسية: إنه واجب دينى. موضوع دينى. آمر بإزالة المعصية»[١].

«سنواجه مأساة إذا لم نطرد العرب من البلاد، لذا فهيا نطرد العرب من إسرائيل ، ونكون قد جلبنا الخلاص لأنفسنا»[٢].

## حلم «إسرائيل الكبرى»

لقد جاء فى التوراة، يذكر «كاهانا»: «أرض إسرائيل... لقد منحت هذه الأرض لذريتك، من نهر مصر (النيل)، حتى النهر الكبير (نهر الفرات)»،... لقد أعطى اليهودى (أرض إسرائيل) كمنحة من الرب، وأُمر بالعيش فيها، وعندما كان شعب إسرائيل يستعد لاجتياز نهر الأردن، وبينما كانوا فى منتصف النهر، قال لهم «يوشع»: «لتعرفوا لماذا تجتازون النهر؟! من أجل أن ترثوا سكان البلاد الذين قبلكم. إذ فعلتم هذا فهو جيد، وإن لم تفعلوه ستأتى المياه وتجرفنا جميعاً»؛ ومعنى ذلك ـ يوضح كاهانا» مرتكزاً على مزاعم توراتية أسطورية ـ أنكم إذا قضيتم على سكان البلاد (الأصليين العرب)، فإنكم عندئذ ستحظون بحق توريث الأرض لأبنائكم... وإذا لم تقضوا عليهم، ولم تحتلوا الأرض، لن يكون لكم الحق فى أن تورثوها لأبنائكم... لقد أُخذت الأرض من الغرباء ـ الكنعانيين ـ لتمكين اليهودى من تنفيذ مهمته التى خلقه من أجلها الله، خالق البشرية، كل البلاد له. لقد أخذ من الكنعانيين أرضاً من أرضه، و«أعطاها» لشعب إسرائيل، شعبه الذى اختاره[٣]، وإبقاء سلطان الغرباء على قسم من البلاد، مثله كمثل محو اسم

(١) المصدر نفسه. (٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص:٢٢٦.

واضح تماماً الأكاذيب والإداعاءات الزائفة التى يرتكز عليها «كاهانا» لتبرير دعوته -

الله عن الأراضى التى بأيديهم... هكذا قضى «موسى بن ميمون»، فى «تعاليم الكفرة»: «فى زمن سلطان بنى إسرائيل... محظور علينا إبقاء الكفرة بيننا»... إن التنازل عن أجزاء من «أرض إسرائيل» هو بمثابة إثم يتوجب منعه حتى وإن كَلَّفَ ضحايا بشرية... لأن الحرب من أجل البلاد هو جزء أساسى من الحرب التى يَحُثُ عليها التلمود، والتى تسميها التوراة «حربا مقدسة»(١)، وهذه الحرب تستهدف تحقيق الخلاص بأركانه الأربعة:

١ ـ القرار الحاسم لتطبيق سلطان شعب إسرائيل ودولة إسرائيل على جميع أجزاء «بلاد إسرائيل».

٢ ـ القرار الحاسم بطرد كل من هو غير يهودى، ولا يعترف بالحق القطعى للشعب اليهودى على كل «بلاد إسرائيل»، ولا يقبل بوضع أجنبى، قاطن، مبتور الحقوق.

٣ ـ القرار الحاسم بترك المقبرة، المسماة «المهجر»، والعودة إلى «بلاد إسرائيل»(٢).

ولأن «مائير كاهانا» يدرك جيداً أن أصحاب الأرض الأصليين من العرب الفلسطينيين لن يتركوا وطنهم ببساطة، ولن يرتضوا بالخضوع لأوهامه دون مقاومة، فهو يعرف أيضاً أن سلاح القهر والإرهاب والعدوان هو سلاح أساسى لحسم مصير الصراع، وهو يرد على الذين يطالبون بقدر ـ ولو

= لإنشاء إسرائيل الكبرى، فلم تكن أرض مصر يوماً ـ على سبيل المثال ـ ملكاً للكنعانيين حتى يمنحها رب إسرائيل لشعبه المختار المزعوم، وهذه التبريرات ـ فى النهاية ـ يسهل لكل الشعوب ترددها بشأن أراض أخرى فى دول أخرى تدعى ملكيتها، استناداً إلى تراثها الدينى والأسطورى الخاص؛ الذى يبرر المطالبة بملكيتها، كما يفعل الصهاينة والمهووسون من دعاة أرض إسرائيل الكاملة.

(١) مائير كاهانا، من كراس: عن الإيمان والخلاص، مذكوره فى درويش ناصر (المحامى)، الفاشية الإسرائيلية، عمان ـ الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٠، ص:٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص:٣٥.

محدود ـ من المرونة والدبلوماسية لتنفيذ ذات الغايات، قائلاً إنهم ـ فى هذا السلوك ـ لا يصدرون عن فهم صحيح وعميق للتوراة، ويزيد أنه يستطيع أن يعرض لهؤلاء ما قاله الأنبياء فى استشهادات توراتية كفيلة ببث القشعريرة فى الأوصال؛ وهو يطالبهم بأن يقرأوا ما ذكره أشعيا عن «الطريقة الدموية والعنيفة التى سيُعامل «المسيح»، عندما يأتى، بها الأمم»(١).

وهو، أى «كاهانا» إذا كان ينصح أتباعه بعدم استخدام العنف الآن، فلا يعود ذلك إلى سبب أخلاقى (لا سمح الله)؛ بل لأن الوقت غير مناسب وحسب، لكن كما أن للصلاة والابتهال وقت، فللعنف والقتل وقت آخر، ومن اجل هذا الزمن القادم فإن «ماثير كاهانا» لا يخفى عمله على تهريب السلاح سراً من العالم أجمع، من أجل تسليح اليهود(٢)، فى مواجهة من؟ ـ فى مواجهة العرب وغير العرب، الذين يقفون فى وجه أطماع «كاهانا» وزمرته، ذلك أن العرب لا يريدون السلام، إنهم يريدون بلداً، والصهيونية لم تأت هنا لإحلال السلام. لقد أتت لتحصل على دولة يهودية سواء عنى ذلك وجود السلام أم لا(٣).

.. إن الدم العربى السيّال على أيدى الصهاينة أمرَ يبشُ له «مائير كاهانا ويبهجه، فرغم أن التوراة ـ كما يرى الحاخام الفاشى ـ بكل تأكيد، تذكر: لا تشمت فى عدوك حينما يسقط، ولكن عندما يتعلق الأمر بعدو للشعب اليهودى، هنا يصبح الأمر مختلفاً: إن علينا أن نشمت ـ يقول «كاهانا» ـ حتى لو تم ذلك فى أماكنهم المقدسة.. فعندما أُعدم مجرمو النازية بعد محاكمات نورمبرج»، ألم يشرب اليهود أنخاباً مهللين (آلحايم)، (فى صحة الحياة)(٤)؟

---

(١) د. رفائيل ميرجى ود. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٢)، أغسطس ١٩٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٥.

(٣) المصدر نفسه، (جـ٥)، نوفمبر ١٩٨٧.

(٤) د. رفائيل ميرجى ود. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ ٥)، نوفمبر ١٩٨٧.

ويلاحظ هنا ـ بوضوح ـ عمليات الإسقاط التى يقوم بها «كاهانا»، والتماثل الذى يصطنعه بين «العرب» و«النازيين» من جهة، ثم تقمصه لدور مُعَذِّبُهُ السابق، وممارسته لنفس السلوكيات الوضيعة التى جأر بالشكوى من جراء تعرضه لها، من جهة أخرى.

وليس هذا الرأى لنا وحدنا، إنه ـ وهذا مهم للغاية ـ رأى محامى الدولة الصهيونية ذاتها، الذى وصف «كاهانا» فى محكمة العدل بالقدس، عام ١٩٨٣، بأنه «نازى بكل معنى الكلمة، وبأن النظرية التى يروج لها وممارساته متجانسة مع النظرية البغيضة»[١]، وقدم استشهادات من واقع برامج «كاهانا» ومطالبه السياسية المقتبسة كلية من المرجعيات النازية (الملعونة):

ـ طلب «كاهانا» تحريم التمازج والاختلاط، وفرض عقوبة الحبس لمدة خمس سنوات على اليهوديات اللواتى يقمن علاقات جنسية مع العرب، وعقوبة خمسين سنة على العرب الذين يقيمون علاقات جنسية مع اليهوديات: مقتبس من «كفاحى» لأدولف هتلر: «الشاب اليهودى أسود الشعر، يتربص ساعات بالفتاة الألمانية الوديعة فيدنِّسها، ويسلبها من شعبها».

ـ طلب «كاهانا» بجعل الزواج بين اليهود وغير اليهود جريمة يعاقب عليها بالسجن ـ مقتبس من قوانين «نيرنبيرج».

ـ نداء «كاهانا» بمقاطعة التجّار العرب والشراء من اليهود فقط ـ شبيهه بالمقاطعة التى فرضها النازيون على التجار اليهود عام ١٩٣٥.

ـ إثارة مشاعر العداء وأعمال العنف ضد الطلاب العرب فى الجامعات ـ على غراء ممارسات جلاوزة النازية ضد اليهود.

ـ طلب «كاهانا» بطرد جميع العرب من البلاد إلى الدول العربية، وحرمان كل من هو من أصل غير يهودى من الحقوق المدنية ـ شبيهه بالبند الخامس والعشرين من البرنامج الانتخابى للحزب النازى.

(١) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦.

ـ نداء «كاهانا» لإقصاء العرب عن الحرم القدسى، أقدس مقدسات الإسلام، بحجة أنه قائم على أنقاض المعبد الثانى، والاستشهاد بآية من الكتاب المقدس «الغريب الذى يقترب يُقتل».

ـ اشتراط كل المفاوضات مع العرب على أساس اعترافهم أولاً بسيادة «اليهود على أرض إسرائيل»[1].

وهو أيضاً الذى يقترح أن يقوم الجيش الإسرائيلى بتصفية الفلسطينيين الذين يقعون فى قبضته ـ فى الحال ـ بصرف النظر عن محاكمتهم أو مستوى (جرمهم).. فبكل تأكيد، لابد من تصفية الفلسطينيين على الفور، ومرة أخرى: «تماماً كما كنا سنصنع بالنازيين»، وهكذا، يتنبأ الحاخام الإرهابى: «فإنهم سيفكرون مرتين قبل أن يشرعوا فى القيام بفعل.. إننى أريدهم أن يموتوا.. أريد أن يعرف كل أولئك الذين يتأهبون لارتكاب أعمال (إرهابية) أنهم إن أُخذوا سيقتلون فى الحال»[2].

ومرة أخرى تعود الدائرة الكاهانية الجهنمية لكى تُقفل مجدداً: «من الجنون أن ندفع (من أموال إدارة الضمان الاجتماعى) للعرب، كى يُنجبوا أطفالاً.. إن هذا النظام يعطينى انطباعاً بأن اليهود مرضى بعقولهم إننى أريد أن أجعل حياة العرب هنا صعبة، إلى الدرجة التى يقول فيها الكثير منهم إن الأمر لم يعد يستحق عناء العيش هنا.. من الأفضل أن نأخذ تعويضاً ونرحل.. ولو كنت فى السلطة فلن يُقتل أى عربى، لأننى لن أكون قد تركت عربياً هنا»[3].

إن هذه الروح البغيضة المجنونة المشبعة بالشر والعدوان ليست روحاً قلقة، على أية حال، بل هى تفعل هذا كله معتقدة، عن يقين ـ وهنا مكمن

(١) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦ ـ ١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، (جـ ٣)، سبتمبر ١٩٨٧.

الخطورة ومصدر المأساة ـ أنها تُنَفِّذُ تعاليم «رب الجنود»، «الرب المحارب»: ذلك أن الرب الذى توجّه إلى موسى ـ كما يقول «كاهانا» ـ هو نفس الرب الذى كلم «يوشع»[1]، رمز الحرب والدم والموت والدمار فى التراث التوراتى، واليهودية، كما يراها، تقول ذلك، بكل تأكيد، «والحاخامات جميعاً يعرفون ذلك، وهو عين ما سيقوله لك كل واحد منهم لو ناقشته على حدة.. سيقول لك: «كاهانا» عنده حق.. لكن الشجاعة تنقص هؤلاء الحاخامات ليقولها على الملأ»[2].

والمشكلة معهم هى «أنهم حين يتوقفون عن الحديث كحاخامات (أى بمقتضى ما تمليه التوراة ويوجهه التلمود) يبدأون فى الحديث.. كما الأرانب[3] ليقولوا ماذا؟! ليقولوا ما يجاهر به «كاهانا» وصحبه: إن الأرض لا تتسع للجميع فإما اليهود وإما العرب».

إما اليهود.. وإما العرب.. هذا هو درس الحاخام الفاشى «مائير كاهانا»، وأمثاله من المتدينين العنصريين وهذه هى رسالته ورسالتهم، إنها «كاهانية» بلا حدود.. لها بداية وليس لها من نهاية.. واليوم «عرب أرض إسرائيل» وغداً «عرب إسرائيل الكبرى».. وهلمَّ جرا.

«ولنا أن نتصور يوماً ترتفع فيه النسبة العددية للمتدينين فى إسرائيل، بالدرجة التى تُمَكِّنهم من السيطرة على الحكم، وبالتالى على ترسانة السلاح التقليدى وما فوق التقليدى، فحينئذٍ ستخضع التكنولوجيا العسكرية المتطورة (لمثل هذه) الفتاوى الأسطورية»[4].

(١) المصدر نفسه، (جـ ٢)، أغسطس ١٩٨٧.

(٢) المصدر السابق، (جـ ٤)، أكتوبر ١٩٨٧.

(٣) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، (جـ ٥)، نوفمبر ١٩٨٧.

(٤) من مقدمة الطبعة العربية لكتاب: العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل، إعداد وإشراف: يشعياهو ليفمان، ترجمة: محمد محمود أبو غدير، مراجعة وتقديم: إبراهيم البحراوى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص: ٣.

«نحن جيل من المستوطنين، ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة، أو أن نبنى بيتاً»..

**يورى أفنيرى**

«أنا أحارب.. إذاً أنا موجود»

«كن آخى.. وإلا سأقتلك».

**مناحم بيجن**

**التمرد The Revolt**

op eikan.com